الكلمات المفتاحية:

السنن الإلهية، الوعي السنني، حركة التجديد، الاتجاه الإصلاحي، الاتجاه الحضاري، اتجاه السننية الشاملة.

Abstract:

This research focuses on the efforts of the Reform and Renewal Movement in Algeria to reveal and exploit divine laws, starting with the efforts of the reform trend made by the Association of Algerian Muslim Scholars, led by the efforts of its sheikhs Abdelhamid Ben Badis and Mohamed Bashir Al-Ibrahimi, and the efforts of the civilizational trend, which was represented by the works and efforts of Professor Malik Bennabi, and culminated in the work that He benefited from the previous two trends, represented by the trend of Sunanya, which was established by the efforts of Professor Tayeb Barghouth.

The reform trend generally absorbed the Sunnahs during its reform work, but it was not preoccupied with rooting and abstract theorizing. Rather, it practiced them during its reform work and worked to embody them while meeting the needs of society, and while confronting the constraints and challenges of reality. As for Malik Bennabi, his efforts were clear in establishing several civilizational laws through which he sought to explain the reason for the backwardness of the Islamic world, and the Sunnanya awareness it must have in order to embark on a new civilizational cycle. While Tayeb Barghouth's efforts were directed towards comprehensive control of the faculties of subjugation and succession into one comprehensive system, which he called "the comprehensive Sunanya perspective."

Keywords:

divine laws, Sunnany awareness, renewal movement, reform trend, civilizational trend, comprehensive Sunany trend.

مقدمة

تعد عملية الكشف عن السنن الربانية سبيلا ضروريا لترشيد وعي الإنسان بها حتى يستقيم فعله الأدائي الإجرائي مع القوانين التي وضعها الله بين يديه في مساحات التسخير، ويتسم بالأصالة والفعالية والتكامل.

والاهتمام بالسنن كشفا وتفعيلا وتمثلا ما يزال مجالا ملحا بسبب ما يختزنه من إمكانات رشدية، يمكن أن تعين العالم الإسلامي على تجاوز تخلفه الذي ما يزال يكتنه رغم كل محاولات الانعتاق التي تمت منذ حوالي قرنين من الزمان، وكل المحاولات التي حققت شيئا من النتائج الإيجابية في مرحلتها التاريخية كانت بسبب الوعي السنني الذي حظيت به لتلك المرحلة، وكل قصور أو ضآلة في مردودية حركات التغيير والإصلاح إنما سببه الرئيس في قصور الوعي السنني واضطرابه.

ومن أجل ألا تصاب عمليات الإصلاح والتجديد بالتراوح والتراجع والهدر ما يزال أعلام الأمة في نهضتها الحديثة يبذلون جهودا رائدة في الكشف عن القوانين التي تحكم حركة التاريخ، تحتاج إلى تحصيل وإبراز وتعميم،

ومن هذه الجهود جهود حركة التجديد المعاصرة بالجزائر التي انتقل إليها صدى الحركة الإصلاحية التجديدية التي بدأتها مدرسة المنار، ومما انتقل إليها منها الاهتمام بالسنن الربانية في الكون والمجتمعات.

ولنا أن نتساءل في هذا السياق: إلى أي مدى كشفت حركة التجديد والإصلاح بالجزائر واستوعبت ووظفت من سنن الله في القرآن والكون والتاريخ لترشِّد وعيها وتؤطر حركتها في عملها التجديدي؟ وما هي مآلات وآفاق هذا العمل في الحاضر والمستقبل؟

1- مدخل إلى الوعي السنني لدى حركة الإصلاح والتجديد المعاصرة:

1/ 1- المسار العام للوعي بالسنن التاريخية والاجتماعية:

موضوع السنن الإلهية يأخذ حضوره في الوعي الإسلامي منذ فترة نزول القرآن، فهو من الموضوعات المنصوص عليها في القرآن الكريم، إضافة إلى إرشادات السنة النبوية وتطبيقات الرسول ﷺ في ميدان بناء النواة الأولى للأمة الإسلامية، وليس غريبا أن نجد التفاسير القديمة للقرآن الكريم والشروح القديمة للسنة النبوية تتضمن الحديث عن السنن الإلهية.

ولكن الوعي بالسنن في العهود الإسلامية الأولى لا سيما التأسيسية كان عمليا، يُمَارس في الواقع بشكل تلقائي دون أن يكون له وجود تنظيري، فقد كان المجال العملي الميداني سابقا للمجال التنظيري بأشواط كبيرة، من خلال الدفعة القرآنية العملية التي تشكلت زمان النبوة، لذلك انطلق التأسيس الميداني للنهضة وبناء الأساسات الأولى للحضارة الإسلامية قبل التدوين الكامل حتى للمصدرين الرئيسيين (القرآن الكريم والسنة النبوية) فضلا عن تأصيل العلوم وتدوينها.

ففي عصر نزول الوحي كان الرسول ﷺ يمثل القدوة في تنزيل القرآن على الواقع من خلال سيرته وسنته ويعمل على تمثُّل وتمثيل تلك السنن الربانية على مستوى الميدان التطبيقي[1]، ويأخذ عنه الجيل الأول عمليا بالاحتكاك والملاحظة والتمثُّل استثمارَهُ ﷺ لسنن الله في بناء المجتمع الأول وإحاطته بما يحفظه ويضمن نموه واستمرار قوته وتوسعه الواقعي في ظروف محلية وعالمية خاصة به[2].

والصحابة الكرام سلكوا من بعد النبي ﷺ مسلكه في الدعوة والتبليغ والتدافع والمحافظة على وحدة الصف الإسلامي، وتمثلوا منهج النبي ﷺ تصورا وسلوكا وتبليغا، ولذلك ما غلب على هذه المرحلة ليس التنظير والتدوين وإنما غلب عليها التطبيق والامتثال.

ولعل أول حدث خرج بذلك العصر الأول عن التمثل الكلي لواحدة من أهم سنن التاريخ هي الخلاف الذي حصل بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما؛ "ولا عجب، فإن كوارث التاريخ التي تحيد

---

[1] ينظر الطيب الوزاني: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم من خلال مفهوم السنن الإلهية في التاريخ والاجتماع البشريين، ص846.

[2] من أبرز ما تم تأليفه في هذا الموضوع : منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة والحفاظ على منجزاتها خلال الفترة المكية للأستاذ الطيب برغوث.

بالشعب عن طريقه ليست بشاذة. ونحن نجد مثلها في الكارثة التي أصابت العالم الاسلامي في واقعة صفين فأخرجته من جو المدينة الذي كان مشحونا بهدي الروح، وبواعث التقدم، إلى جو دمشق حيث تجمعت مظاهر الترف، وفتور الايمان"[1].

ولم تتمكن بواعث الروح والتقدم في المجتمع المسلم الأول من احتواء الآثار السلبية لهذه الحادثة كما تم من قبل احتواء حادثة سقيفة بنو ساعدة وحادثة الرِّدة بعد وفاة الرسول ﷺ وحادثة مقتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ... لقد تركت تلك الحادثة شرخا في الصف الإسلام وفي جوهره روحه، وأعقبها مرحلة أخرى هي مرحلة ظهور الفرق والجدل والمذاهب.

ورغم أن هذه المرحلة الثانية عُرفت بمرحلة التدوين وتنظير العلوم غير أنه لم يلتفت لا المؤرخون ولا المفسرون ولا أهل السلوك والتزكية ولا المتكلمون... أو غيرهم إلى أهمية دراسة هذه الظاهرة – التي برزت في (واقعة صفين) وتوسعت بعدها– من منطلق سنني.

ولكننا بشكال عام لم نعدِم الاهتمام بالسنن الربانية، فقد كان يتم التطرق إليها بشكل جانبي عرضي في كتب المتقدمين، وذلك من خلال:

– كتب التفسير التي من طبيعتها أن تمر على القرآن كله توضيحا وبيانا، فقد كان المفسرون يشرحون الآيات التي تتحدث عن السنن بشكل عام ويقفون عند الألفاظ المتعلقة بها مثل: سنة الأولين، وإهلاك الظالمين، والتمكين للمؤمنين المتقين، وجزاء الصد عن سبيل الله، ومعاني الاستخلاف والتدافع والتداول وتغيير النِّعم بتغيير ما بالنفوس... وغيرها.

– كتب شروح السنة هي الأخرى تقف عند الأحاديث التي تحدثت عن أسباب بقاء الأمم وحفظها، وحذرت الوقوع في أسباب تبعيتها أو هلاكها.

– كتب السياسة الشرعية ففيها حديث عن العدل والظلم وعاقبتهما، وأخلاق الملوك، وشؤون التدبير السياسي والاجتماعي، والواجبات التي تحفظ المُلك.

– وكتب التزكية والسلوك فهي ميدان كشف عيوب النفس ونقائصها، من أجل تطهيرها والارتقاء بها روحيا وأخلاقيا وسلوكيا.

ورغم أن التدوين والتأصيل كانا يبرزان جَنْبا إلى جنب مع الضرورة والاحتياج التأسيسي والتشيدي، ورغم أن علوما كثيرة تأسست ونضجت وتوسعت إلا أنه لم يتم التأسيس والتقعيد لعلم السنن بشكل خاص مستقل، ولا حتى ضمن علوم أخرى كما هو حال ظهور علم المقاصد في بداياته ضمن كتب علم أصول الفقه قبل أن يستقل ويتوسع.

[1] مالك بن نبي: شروط النهضة، ص 47.

ويبدو لي أن عصر الضعف الذي بدأ يهوي إليه المسار الحضاري المشرق للعالم الإسلامي حرَّك لدى شخصية مثل عبد الرحمن بن خلدون (808هـ/ 1406م) الاتجاه نحو دراسة أسباب قيام وانهيار الممالك، عمله الذي ضمنه في كتابه الشهير بـ(المقدمة)، ويمكن اعتبار هذه المحاولة أولى المحاولات للتأليف في مجال قوانين العمران البشري بشكل مستقل، فقد استطاع ابن خلدون أن يستخلص جملة من القوانين التاريخية والاجتماعية حسبما أسعفته اجتهاداته، والتي فسر بها طبيعة العمران البشري وأحواله وعلل انتظامه وإحكامه، كما بحث أسباب قيام وانهيار الدول والممالك، وأثر الدِّين والعصبية والبيئة الجغرافية في ظواهر شؤون الاجتماع.

وإذا استثنينا الاستدراكات التي تمت حول ما توصل إليه من تعليلات وقوانين في بعض ما ذهب إليه من تفسير نظرية الدورة التاريخية بأنها ترجع إلى (العصبية)[1]، كما اكتفى بتعليلها في إطار الدولة لا في إطار الحضارة[2]، فإننا نجده قدم أفكارا كثيرة مهَّد بها لسنن الاجتماع والتاريخ، وجعلته الرائد في التنبيه إليها والسباق إلى استخلاصها، كما استشهد لها بكثير من الآيات القرآنية التي تتضمن لفظ (سُنَّة) أو الآيات التي تتضمن معاني تحدثت عن قوانين الاجتماع البشري.

ولكن عصر ابن خلدون لم يستفد من تلك الأفكار لإنقاذ نفسه من خطر الضعف والتفكك، ولا استفادت منه القرون التي تلت عصره إلى العصر الحديث، كأنها كانت تسير بعكس تلك الأفكار تماما، غير أن اضاءاته لم تختفِ تماما وإن غابت عن التأثير زمنا طويلا، فقد انبجست من جديد في العصر الحديث بشكل لافت، وكانت متكأ الدراسات الحديثة والمعاصرة في تطوير نظرية التاريخ في تعليل الدورة الحضارية.

2/1– لمحة عن الوعي السنني لدى حركة الإصلاح والتجديد الحديثة:

يبدو أن الذي دفع بعلم السنن إلى الظهور من جديد تأصيلا وتفعيلا هو الانحدار الذي بدأ يصيب الحضارة الإسلامية، فهي دوما كانت في صعود وتوسع وقوة وانتصار بشكل عام، وإن حدث هبوط هنا غطى عليه صعود هناك، فقد كان خط صعود الحضارة الإسلامية يتم تداوله بين أمم إسلامية كثيرة، ولا يمثله جنس واحد أو بلد واحد أو منطقة جغرافية واحدة، ولما كان الأمر كذلك لم تقف للنظر في أسباب تراجعها حتى برز خط التراجع وأصبح جليا بالإمكان إبصاره عند تقييم مسار الحضاري للأمة.

ولقد انتهت الأمة الإسلامية إلى الخروج من دورتها الحضارية نهائيا على إثر وقوعها تحت سطوة الاستعمار الغربي، الذي وضعها على عتبات مأزق شديد الوطأة، وزادها تكريسا لمديونتها الحضارية.

ولكن عالم الأفكار في العالم الإسلامي لم يتم فقده كليا، لقد ظل منه حَدٌّ أدنى ممثلا في الواقع، حافَظ على الوجود الإسلامي على وجه الأرض بشكل عام، كما بقي منه بقية من الرواد هنا وهناك يحاولون دفعه نحو استرجاع موقعه في دورة حضارية جديدة، ومع هؤلاء الرواد انطلق فجر جديد لصحوة إسلامية في العصر

[1] ينظر ابن خلدون: المقدمة، 1/ 164 وما بعدها..يراجع

[2] ينظر مالك بن نبي: شروط النهضة (ص: 62)

الحديث، وقد تنبه كثير منهم لأهمية معرفة وتسخير السنن الربانية في إحياء الأمة وتحقيق شهودها الحضاري واستئناف دورة حضارية جديدة، على رأس هؤلاء الرواد مدرسة المنار.

1/2/1- تأسيسات جمال الدين الأفغاني (1315هـ/1897م):

تأتي صيحات الإصلاح لجمال الدين الأفغاني الأولى من نوعها في آذان ووعي العالم الإسلامي، حيث كتب عدة مقالات في مجلته (العروة الوثقى)، تناول فيها – من خلال بعض الآيات القرآنية ومن خلال استنتاجات من تاريخ الأمم– بعض سنن النهوض، أكد فيها أن سبب انحطاط المسلمين هي بُعْدهم عن الاستجابة الصحيحة لسنن الله في التقدم والرقي.

لقد كانت السنن التاريخية والاجتماعية حاضرة في وعي الأفغاني، يستحضرها أثناء تكوين وتوجيه الوعي العملي لدى من وصلت إليهم كلماته، منها قوله: "إن للتاريخ علمًا فوق الرواية عُني بالبحث فيه العلماءُ من كل أُمَّة، وهو العلم الباحث عن سير الأمم في صعودها وهبوطها، وطبائع الحوادث العظيمة وخواصها، وما ينشأ عنها من التغيير والتبديل في العادات والأخلاق والأفكار، بل في خصائص الإحساس الباطن والوجدان، وما يتبع ذلك كله من نشأة الأُمم، وتكوُّن الدول، أو فناء بعضها واندراس أثره"[1].

ومن نماذج عناوين مقالاته ومضمونها التي تؤطر الوعي بالسنن:

– في المقالة الثانية من العروة الوثقى نجد عنوانها: (ماضي الأمة وحاضرها وعلاج عللها) صدَّرها بالآية: ﴿**سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا**﴾ [الأحزاب: 62][2]؛ عالج في مضمونها دور تجديد الدِّين عمليا في الأمة، وبيَّن أن كل العوامل الأخرى لا تنفع في إحياء الأمة من جديد إذا ما تم إهمال استرجاع الوظيفة الاجتماعية للدِّين، فهو الذي بعثها أول مرة من جاهليتها وشتاتها، فنوَّر قلوبها وعقولها، وقوَّم أخلاقها، ووحَّد قواها، وسدد خُطَاها وأحكامها، وهو الذي يستطيع بعثها مرة أخرى إذا تمثلته بالمستوى المطلوب.

– وفي مقالة (انحطاط المسلمين وسكونهم وسبب ذلك) صدرها بقوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: 103][3]؛ عالج من خلالها مشكلة ضعف روابط الإخاء الإسلامي بين المسلمين، وبسببها فقد قوة التحامه وتسانده وخدمة المشترك الذي يقويهم ويحفظهم.

وهذه هي التي سماها مالك بن نبي فيما بعد تمزق أو ارتخاء (شبكة العلاقات الاجتماعية)[4]، وبين أهمية تجديدها ودورها في استعادة المجتمع لزمام المبادرة الحضارية.

---

[1] العروة الوثقى، ص143.

[2] المصدر نفسه، ص107.

[3] المصدر نفسه ، ص122.

[4] ينظر مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ص27، 38.

– وفي مقالة (العصبية) يقول: "فالتعصُّب وصفٌ للنفس الإنسانية، تصدر عنه نهضةٌ لحماية من يتصل بها والذود عن حقه... هذا الوصف هو الذي شكل الله به الشعوب، وأقام بناء الأمم، وهو عقد الربط في كل أمة... سنة الله في خلقه، إذا ضعفت العصبية في قوم رماهم الله بالفشل، وغفل بعضهم عن بعض، وأعقب الغفلة تَقطُّع في الروابط، وتبعه تقاطع وتدابر، فيتسع للأجانب والعناصر الغريبة مجالُ التداخُل فيهم، ولن تقوم لهم قائمةٌ من بعد حتى يعيدهم الله كما بدأهم بإفاضة روح التعصُّب في نشأة ثانية"[1].

كأني به نص مستوحى من اطلاعه على (نظرية العصبية) التي تقوم عليها الدول عند ابن خلدون، ثم قام بتبسيطها وإسقاطها على واقع الأمة في زمانه.

– وتحت عنوان: (الأمة وسلطة الحكم المستبد) مقالة صدرها بقوله تعالى: ﴿**وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ [النحل: 33][2]، عالج في ضوئها مشكلة الاستبداد السياسي ودور وعي الأمة وممارساتها في تكريسه أو إضعافه وتجنبه.

– وتتوارد في مقالاته عبارات من مثل:

"سنة الله في خلقه"[3]، "فهل يستطيع إنسانٌ أن يخرج عن هذه السنَّة التي سنها الله في خلقه؟"[4]، "مضت سنَّة الله في خلقه بأن للعقائد القلبية سلطانًا على الأعمال البدنية"[5]، "فإن العدل قوام الاجتماع الإنساني، وبه حياةُ الأُمم، وكل قوة لا تخضع للعدل فمصيرُها إلى الزوال"[6]، "سنَّة الله في تبديل الدول وفناء الأمم ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [هود: 102]"[7]، "ولا ريب أن الراسخين في العلم من أهل الدين الإسلامي يعلمون أن ما أصيب به المسلمون في هذه الأزمان الأخيرة، إنما هو مما امتحنهم الله به جزاءً على بعض ما فرطوا، وليس للناس على الله حجة... وعد الله ووعده الحق في قوله: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الروم:47]"[8]، "إذا تصفحنا تاريخ كل جنس واستقرينا أحوال الشعوب في وجودها وفنائها؛ وجدنا سنَّة الله في الجمعيات البشرية: حظها من الوجود على مقدار حظها من الوحدة"[9]، ".. ولنا على ذلك شاهدُ العيان في الأُمم التي أدركها اليأسُ وسقطت في أيدي الأجانب"[10]، "وإذا نظر العاقل في أنواع الخطأ التي وقعت في العالم الإنساني من كلية وجزئية وطلب أسبابها؛ لا يجد لها من علة سوى الميل عن قانون الفطرة،

---

[1] العروة الوثقى، ص132- 133.
[2] المصدر نفسه، ص191.
[3] المصدر نفسه ، ص 133.
[4] المصدر نفسه، ص143
[5] المصدر نفسه، ص140.
[6] المصدر نفسه ، ص133.
[7] المصدر نفسه، ص 153.
[8] المصدر نفسه ، ص156.
[9] المصدر نفسه ، ص163.
[10] المصدر نفسه ، ص173.

والانحراف عن سنَّة الله في خلقه. من أحكام هذا الناموس الثابت..."[1]، "ومن تتبع التواريخ التي تمثل أحوال الأمم الماضية وتحكي لنا عن سنة الله في خليقته.."[2]، "العَالَمَ الإنساني كتاب المعتبر، وسفر المستبصر، وكل قرن من قُرُونه صفحةٌ، وكل جيل من النَّاس سطرٌ فيه أو جملة، ولنا في كل ما خَطَّهُ القلمُ الإلهيُّ عبرة"[3]، "أليس قد جعل الله لكل شيءٍ سببًا؟ أليس من سُنَّة الله في عباده..."[4].

هذه عينة من الحقول الدلالية التي تسلط الضوء على توظيف السنن في العملية الإصلاحية التي جال بها الأفغاني شرقا وغربا، محاولا بثها في عصره وتوريثها للأجيال من بعده.

وتعد هذه الفقرات المقتبسة هنا مجرد إضاءات صغيرة عن الحضور الناضج للسنن في وعي الأفغاني، لأجل التنبيه إلى مركزيته التاريخية في استرجاع الاعتناء بسنن التاريخ والاجتماع لدى الأمة في محاولات نهوضها، وإلا فإن آثاره تضمنت ثراء يحتاج إلى دراسة مستقلة.

1/ 2/ 2- تعميقات مُحَمَّد عبده ومُحَمَّد رشيد رضا

تسلَّم من جمال الدين الأفغاني منحى ضرورة الوعي بالسنن تلميذه الشيخ مُحَمَّد عبده (1323هـ/ 1905م) الذي يظهر اهتمامه بسنن المدنية وسنن الاهتداء واضحا في آثاره، لا سيما في تفسيره المنار، الذي يشترك فيه معه تلميذه مُحَمَّد رشيد رضا (1354هـ/ 1935م) الذي استمر فيه من بعده. على المنوال نفسه، بل توسع في شرحه وتقريراته واحتجاجه بالسنة النبوية.

وصاحِبا تفسير المنار لا يحتاجان إلى عينات مبثوثة هنا وهناك عن مدى اهتمامهما بالسنن الربانية في العملية الإصلاحية، إنما يتحدثان عنها صراحة باعتبارها علم واجب من الواجبات الكفائية التي لا غنى للمسلمين عنه إذا ما أرادوا النهوض من جديد.

يقول مُحَمَّد عبده: "إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سننا يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علما من العلوم المدونة، لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يُبَيِّنون لها سنن الله في خلقه، كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال، وقد بيَّنها العلماء بالتفصيل عملا بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه"[5].

---

[1] المصدر نفسه ، ص177.

[2] المصدر نفسه ، ص178.

[3] المصدر نفسه ، ص181.

[4] المصدر نفسه ،ص183.

[5] تفسير المنار، 4/ 139.

وتفسير المنار غني بالنصوص الشارحة والمؤكدة على ضرورة فهم السنن الربانية والأخذ بها في عملية الإصلاح والتجديد، وأكتفي هنا بإعطاء أمثلة سياقية تكون بمثابة مؤشرات تتجلى من خلالها عناصر الوعي بالسنن عند مُحَمَّد عبده ومُحَمَّد رشيد رضا:

– " أن للكون سننا مطردة تجري عليه عوالمه العاقلة وغير العاقلة"[1]، "وسنن الله في خلقه لا تتغير وأحكامه العادلة فيهم لا تتبدل"[2].

– "كان القرآن هو المرشد الأول للمسلمين إلى العناية بالتاريخ ومعرفة سنن الله في الأمم منه"[3]. "وإنما ينظر الدِّين من التاريخ إلى وجه العبرة دون غيره"[4]، "ومن لم يعتبر بآيات الله في كتابه، لا يعتبر بآياته وسننه في خلقه"[5].

– أن تفسير القرآن يتم بأمور منها: "علم أحوال البشر، فقد أنزل الله هذا الكتاب وجعله آخر الكتب، وبين فيه ما لم يبينه في غيره. بين فيه كثيرا من أحوال الخلق وطبائعهم والسنن الإلهية في البشر، قص علينا أحسن القصص عن الأمم وسيرها الموافقة لسنته فيها. فلا بد للناظر في هذا الكتاب من النظر في أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم، ومناشئ اختلاف أحوالهم"[6].

– طريق معرفتها النظر في الأنفس والآفاق واستخلاصها للاعتبار والاستثمار : "أجمل القرآن الكلام عن الأمم، وعن السنن الإلهية، وعن آياته في السماوات والأرض، وفي الآفاق والأنفس، وهو إجمال صادر عمن أحاط بكل شيء علما، وأمرنا بالنظر والتفكر، والسير في الأرض لنفهم إجماله بالتفصيل الذي يزيدنا ارتقاء وكمالا"[7].

– الإشارة إلى سنن الهداية الإلهية : "... فإذا كان معنى الفسوق: الخروج عن سنن الله تعالى في خلقه التي هداهم إليها بالعقل والمشاعر، وعن هداية الدِّين بالنسبة إلى الذين أوتوه خاصة"[8].

– فضل ابن خلدون وأهمية التاريخ في إرشاد الأمم: "... ثم اهتدى بعضهم إلى استنباط قواعد العمران وأصول الاجتماع من التاريخ؛ فصنف ابن خلدون في ذلك مقدمة تاريخه، ولو لم تنقطع بنا سلسلة العلم من ذلك العهد

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 56

[2] المصدر نفسه 1/ 277

[3] المصدر نفسه، 1/ 259

[4] المصدر نفسه، 1/ 232

[5] المصدر نفسه، 1/ 307

[6] المصدر نفسه، 1/ 20

[7] المصدر نفسه، 1/ 21

[8] المصدر نفسه، 1/ 202

لكنا أتممنا ما بدأ به سلفنا، ولكننا تركناه وسبَقَنا غيرنا إلى إتمامه واستثماره؛ فالتاريخ هو المرشد الأكبر للأمم العزيزة"[1].

– الانحراف عن منهج الله يجلب الضعف والذلة للأمم: "فما من أمة انحرفت عن صراط الله المستقيم ولم تراع سننه في خليقته إلا وأحل بها العدل الإلهي ما تستحق من الجزاء كالفقر والذل وفقد العزة والسلطة"[2].

– ظهور نتائج الضلال وتأثيرها على الأمم: "... فتختل قوى الإدراك فيها، وتفسد الأخلاق، وتضطرب الأعمال، ويحل بها الشقاء، عقوبة من الله لا بد من نزولها بهم، سنة الله في خلقه ولن تجد لسنته تحويلا"[3].

– "... وأما عقاب الدنيا فيجب أن يستعان على اتقائه بالعلم بسنن الله تعالى في هذا العالم، ولا سيما سنن اعتدال المزاج وصحة الأبدان – وأمثلتها ظاهرة – وسنن الاجتماع البشري"[4].

– "فقد جرت سنته تعالى في خلقه بأن بقاء الأمم عزيزة إنما يكون بمحافظة الجماهير فيها على الأخلاق والأعمال التي تكون بها العزة ويحفظ بها المجد والشرف"[5].

كانت مدرسة المنار على قناعة أن استرداد المسلمين لمجدهم وتقدمهم لا يمكن أن يتم دون مراعاة سنن الله في الهداية والأنفس والمجتمعات والآفاق، وقد كان استيعابها للوعي السنني ومحاولة تأطير الواقع به خطا بارزا في جهدها الإصلاحي، وقد انتقل هذا الاهتمام بسنن الاستخلاف والنهوض إلى حركة التجديد والإصلاح بالجزائر.

2– الوعي السنني لدى حركة التجديد الحديثة بالجزائر

1/2– الوعي السنني لدى الاتجاه الإصلاحي بالجزائر

تأثرت المدرسة الإصلاحية بالجزائر بمدرسة المنار وباتجاهاتها الإصلاحية، وانتقل إليها الاهتمام بالسنن الربانية مع هذا التأثُّر، فهذا مُحَمَّد البشير الإبراهيمي (1385هـ/ 1965م) يصف مُحَمَّد عبده بأنه: "حجة من حجج الله في فهم أسرار الشريعة ودقائقها وتطبيقها، وفي البصر بسنن الله في الأنفس والآفاق، وفي العلم بطبائع الاجتماع البشري وعوارضه ونقائصه"[6].

وكان ابن باديس (1358هـ/ 1940م) يفسر القرآن ويراعي فيه مقتضيات العصر، ومما كان يعتمد عليه في تفسيره ما ذكره رفيق دربه الإبراهيمي: " أما المعنى الصحيح لكتاب الله فيستجليه من البيان العربي والشرح النبوي

[1] المصدر نفسه، 1/ 258

[2] المصدر نفسه، 1/ 51

[3] المصدر نفسه، 1/ 59

[4] المصدر نفسه، 1/ 106

[5] تفسير المنار، 1/ 307.

[6] آثار الإمام مُحَمَّد البشير الإبراهيمي، 1/ 178.

ومن مقاصد الدّين وأسرار التشريع، وسنن الله فيه، ومن أحكام الاجتماع الإنساني، ومن تصاريف الزمن ونتائج العقول وثمرات العلوم التجريبية"[1].

وسأتناول بالذكر هنا نماذج من الوعي السنني لدى ابن باديس وأخرى مختصرة للبشير الإبراهيمي:

1/1/2- نماذج من اهتمام ابن باديس بالوعي السنني في عمله الإصلاحي:

ما نعلمه عن ابن باديس أنه فسر القرآن كله شفاهيا، ولم يفسره كله كتابة، وإنما كان يختار في كل مقالة آية واحدة أو آيات ذات العدد يعالج بها تحديات واقعه وأزمانه، فالنماذج المذكورة هنا هي من بين تلك الآيات الخاصة التي اختارها لتسد احتياجات ارشادية اجتماعية في تلك الفترة:

- النموذج الأول:

من الآيات التي اختار ابن باديس الوقوف عندها في مجالسه التذكيرية قوله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا**﴾ [الإسراء: 18 - 20].

عنون لها بعنوان: "إِرَادَةُ الدُّنْيَا وَإِرَادَةُ الْآخِرَةِ" لأجل أن يحث المسلمين من خلالها على إرادتهما معا بطريقة متوازنة.

ثم ضم أثناء تفسيره للآية السابقة آية الشورى: ﴿**وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**﴾ [الشورى: 20]، وآية هود : ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [15 - 16 هود]. وخرج بعدة خلاصات وتوجيهات سننية أهمها:

- قاعدة سننية: "أن الأسباب الكونية التي وضعها الله تعالى في هذه الحياة وسائل لمسبباتها، موصلة بإذن الله تعالى من تمسك بها إلى ما جعلت وسيلة إليه. بمقتضى أمر الله وتقديره، وسننه في نظام هذه الحياة والكون. ولو كان ذلك المتمسك بها لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يصدق المرسلين"[2].

- ومن مقتضى هذا أن من أهمل تلك الأسباب الكونية التقديرية الإلهية ولم يأخذ بها لم ينل مسبباتها ولو كان من المؤمنين، وهذا معلوم ومشاهد من تاريخ البشر في ماضيهم وحاضرهم.

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 343.

[2] آثار ابن باديس، 1/ 201.

– والمؤمن المفرط في الأخذ بالأسباب الكونية مأجور على إيمانه وأعماله الصالحة، ولكن جزاءه عليه يكون في الآخرة وليس في هذه الدار.

– وغير المؤمن الآخذ بالأسباب الكونية لا يضيّع عليه سعيه، ويأخذ جزاءه في هذه الدار وليس له في الآخرة إلا النار[1].

– وليس الله تعالى مانعاً كافراً لكفره أو عاصياً لعصيانه من هذه الحياة وأسبابها، وليس أحد على منع ما لم يمنعه الله بقادر، وأن عطاء الربِّ لا يُمْنَع ولا يجوز أن يُمنع، لأن من مقتضى ربوبيته دوام عطائه ومدده لعموم خلقه بعلمه وحكمته[2].

– وقام ابن باديس بتقسيم الناس استنادا إلى الآية –باعتبار أخذهم بالأسباب أو تركها– إلى أربعة أقسام:

"1 – مؤمن آخذ بالأسباب الدنيوية، فهذا سعيد في الدنيا والآخرة.
2 – ودهريٌّ تارك لها، فهذا شقي فيهما.
3 – ومؤمن تارك للأسباب، فهذا شقي في الدنيا وينجو– بعد المؤاخذة على الترك– في الآخرة.
4 – ودهريٌّ آخذ بالأسباب الدنيوية، هذا سعيد في الدنيا ويكون في الآخرة من الهالكين"[3].

– ثم التفت إلى أهل زمانه منبها وموجها: "فلا يفتِنَنَّ المسلمون بعد علم هذا ما يرونه من حالهم وحال من لا يدين دينهم، فإنه لم يكن تأخرهم لإيمانهم، بل بترك الأخذ بالأسباب الذي هو من ضعف إيمانهم، ولم يتقدم غيرهم بِعَدم إيمانهم بل بأخذهم بأسباب التقدم في الحياة"[4].

كأني به يُواجِه من جهة التواكل والتخاذل الذي فشى في المسلمين حتى زعم بعضهم أن الاستعمار قضاء وقدر لا بد من الاستسلام له والرضا به، ومن جهة أخرى يواجه مكر المستشرقين الذين ادعوا ونشروا بين المسلمين أن الدِّين سبب تخلفهم. ويهتف للمسلمين من خلال استثماره توجيهات القرآن؛ أن بإمكانهم الرجوع إلى أصحاب القسم الأول لو أرادوا، وإنما صاروا من أصحاب القسم الثالث بسبب ضعف إيمانهم وسوء أعمالهم وكثرة إهمالهم.

– الاستشهاد للسنن المستفادة من الآية بتاريخ المسلمين وأخذ العبرة منه: " وهذا الذي أفادته الآية الكريمة مُشَاهد في تاريخ المسلمين قديماً وحديثاً، فقد تقدموا حتى سادوا العالم ورفعوا علم المدنية الحقة بالعلوم والصنائع، لما أخذوا بأسبابها كما يأمرهم دينهم.

---

[1] ينظر المصدر نفسه، 201/1.
[2] المصدر نفسه، 1/ 212.
[3] المصدر نفسه، 202/1.
[4] المصدر نفسه، 202/1.

وقد تأخروا حتى كادوا يكونون دون الأمم كلها بإهمال تلك الأسباب، فخسروا دنياهم وخالفوا مرضاة ربهم، وعوقبوا بما هم عليه اليوم من الذل والانحطاط، ولن يعود إليهم ما كان لهم إلا إذا عادوا إلى امتثال أمر ربهم في الأخذ بتلك الأسباب"[1].

– أشار إلى سنن الأنفس والمجتمعات، وسماه بـ "فقه الحياة والعمران والاجتماع"، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**... ﴾ [الإسراء: 21]، وجعلها تحت عنوان دقيق: "النظر في تفاضل البشر"، داعيا إلى النظر في أسباب هذا التفاضل لأنه يكشف سنن الأنفس والمجتمعات، ومما قاله، وحديثه هنا عن الناس بشكل عام :

"... فمكَّنهم تعالى كلهم من الأسباب وإدراك العقل وحرية الإرادة، ثم فضل بينهم هذا التفضيل. فكان منهم المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والشقي والسعيد، إلى تقسيم كثير. وفقه أسباب هذا التفضيل هو فقه الحياة والعمران والاجتماع، فلذا أمر تعالى بالنظر في أحوال هذا التفضيل بقوله: ﴿**انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ وكيف سؤال عن الأحوال، والنظر المأمور به هو نظر القلب بالفكرة والاعتبار"[2].

– النموذج الثاني:

﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**﴾ [الحج: 38]، عنون لها بـ "دِفَاعُ اللَّهِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ".

ومن استنتاجاته السننية من هذه الآية في سياق التوعية والإرشاد ومعالجة واقع المجتمع المسلم الذي يعيش ظروف الضَّعف والاستعمار:

– أن المؤمنون يحبهم الله، وهو ينصرهم ما داموا يحفَظون عهده في نفوسهم وعقولهم وأبدانهم وجميع ما لديهم على جميع أحوالهم[3].

– أما "إذا أُعدمت منهم الأمانة فخانوا الله والرسول وخانوا أماناتهم وفشت الفواحش والمناكر والبدع فيهم، وصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه، وإذا بطروا نعم الله عندهم، فعطلوا منها ما عطلوا بجهلهم وكسلهم وقعودهم عن الخير وأسباب الحياة والسعادة، واستعملوا منها ما استعملوا في الشر والفساد واتباع الشهوات، إذا كانوا هكذا فقد استوجبوا غضب الله وبغضه ونقمته، وحرموا نصرته ودفاعه، وكانوا هم الظالمين"[4].

– ثم حاول تنزيل هذه المعاني السننية التي استخلصها على واقع حال المسلمين فقال: "لما كان المسلمون أهل الإيمان والصدق والشكر والأمانة دافع الله عنهم وقد شهد التاريخ بذلك من الله لهم، فلما خانوا وكفروا تركهم

---

[1] المصدر نفسه، 112/1.

[2] المصدر نفسه، 112/1.

[3] ينظر المصدر نفسه، 1/ 359.

[4] المصدر نفسه، 359/1-360.

ومكَّن منهم، ولكنه برحمته وعدله لم ينس لهم أصل إسلامهم فأبقى لهم أصل وجودهم الذاتي... وأبقى لهم أصل وجودهم الروحي بكتابه المتلو بين ظهرانيهم رغم إعراضهم عن تدبره وهجرهم لما فيه، عساهم يرجعون"[1].

– النموذج الثالث:

– تحت عنوان: "مِنْ وَعْدِ اللَّهِ لِلْصَّالِحِينَ" فسَّر ابن باديس قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: 105]، وخلاصة استنتاجاته السننية منها الآتي:

– تحديد مفهوم (عبادي الصالحون): "فالصالح هو من استنار قلبه بالإيمان والعقائد الحقة، وزكت نفسه بالفضيلة والأخلاق الحميدة، واستقامت أعماله وطابت أقواله، فكان مصدر خير ونفع لنفسه وللناس... وهذا هو معنى الصالحين"[2].

– بيان أن وعد وراثة الأرض معلق بوصف الصلاح: "علَّق الوعد بالوصف، وهو الصلاح، ليعلم أنه وعد عام، ولتعلم كل أمة صالحة أنها نائلة حظها– ولا محالة– من هذا الوعد. واقتضى هذا التعليق بالوصف أيضاً تقييده بأهله، فإذا زال وصف الصلاح من أمة زال من يدها ما ورثت"[3].

– وأن الأرض إذا خرجت من أيدي الصالحين بسبب زوال الصلاح أو اختلاله أمكن أن ينالها غيرهم: "وقد جاء التنبيه على أن الأرض يرثها الصالحون وغيرهم في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الأعراف: 227] ، فيرثها الصالحون نعمة، ويرثها غيرهم فتنة ونقمة، كلٌّ ذلك حسب مشيئة الحكيم الخبير"[4].

– التأكيد على دور القوة الروحية والأخلاقية في تحقيق التمكين ووراثة الأرض والتحذير من الاعتماد على المكاسب المادية وحدها: "الخَلْق مفتونون بالكثرة في العدد والعُدَّة، غافلون عن القوة الرُّوحية والأخلاقية وما ينشأ عنهما من استقامة لا يحسبون لذلك حساباً، فيحتاجون إلى العلم بأن الصالحين نائلون حظهم من هذا الوعد، وإن كانوا قلة في الناس"[5].

فهو يشير هنا إلى سنن الهداية وسنن التأييد[6] دون أن يسميهما باسمهما.

---

[1] المصدر نفسه، 1/360.

[2] المصدر نفسه، 1/ 351

[3] المصدر نفسه، 1/ 353

[4] المصدر نفسه، 1/ 354- 355.

[5] المصدر نفسه، 1/ 356

[6] من التسميات التي انتهت إليها جهود الأستاذ الطيب برغوث، سآتي عليها لاحقا.

– توجيه الأمة إلى الاعتناء بإصلاح الأنفس لأنه السبب المركزي لوراثة الأرض: "فعلى الأمم التي تريد أن تنال حظها من هذا الوعد أن تصلح أنفسها الصلاح الذي بينه القرآن، فأما إذا لم يكن لها حظ من ذلك الصلاح فلا حظ لها من هذا الوعد، وإن دانت بالإسلام".

– الإرشاد إلى القاعدة العامة لسنن الله تعالى: "ولله سنن نافذة بمقتضى حكمته ومشيئته في ملك الأرض وسيادة الأمم، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، من أخذ بنوع من تلك السنن بلغت وبلغ بها إلى ما قُدِّر له من عز وذل وسعادة وشقاء وشدة ورخاء، وكل محاولة لصدها عن غايتها– وهو آخذ بها– مقضي عليها بالفشل. سنة الله، ومن ذا يبدلها أو يحولها؟ ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾ [الأحزاب: 62]، ﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا**﴾ [فاطر: 43] ثم ﴿**لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [الأعراف: 34]"[1].

هذه بعض النماذج لتلمس عمق الوعي السنني لديه، وإلا فإن ابن باديس وقف وقفات أخرى عديدة استثمر من خلالها القرآن الكريم لتأطير وعي المجتمع بالسنن الإلهية وأرشد إلى استحضارها في السلوك العام للمسلمين الفردي والجماعي.

وهذه بعض عناوين الوقفات التفسيرية التي تحتاج إلى دراسة أوسع– لا يتحملها المجال في هذه المقالة– للوقوف على عمق الوعي السنني لديه: (صلاح النفوس وإصلاحها)، (العلم والأخلاق) ، (نجاة المعبودين بهداهم وهلاك العابدين بضلالهم)، (الطور الأخير لكل أمة وعاقبته)، (فتنة العباد بعضهم ببعض)، (ملك النبوة مجمع الحق والخير ومظهر الجمال والقوة)[2]، ... وغيرها.

2/1/2– نماذج من اهتمام الإبراهيمي بالوعي السنني في عمله الإصلاحي:

لولا ضيق هذه الورقة البحثية التي لا تحتمل التوسع أكثر لأدرجت بشكل موسع نماذج من كتابات مُحَمَّد البشير الإبراهيمي عن وعيه العميق بالسنن الإلهية واستثماره لها في جهده الإصلاحي، ولكني سأكتفي بإيراد عبارات مقتضبة تدل على ذلك الوعي والنضج والتوظيف:

– بيانه لطبيعة السنن الربانية: "وأن نواميس الكون هي سنن الله فيه، وأن الأخذ بأسباب الحياة هو تحقيق لحكمة الله في تلك السنن"[3]، "... والتسابق إلى التفاضل بالتقوى والاهتداء بسنن الله في كونه وبسننه في دينه"[4]، "أن سنن الله الثابتة لا تخرق لخاطر فلان وفلان، وإنما تخرق العوائد، وإن العوائد متغيرة، وإن المعتاد قد يصير غير معتاد، وإن غير المعتاد قد يرجع معتادًا"[5]، "وإن سنن الله في الأمم غير سننه في الأفراد"[1]، "...وحاش

---

[1] آثار ابن باديس 1/ 357.

[2] ينظر المصدر نفسه على التوالي، 1/ 231، 265/1، 291/1، 294/1، 09/2.

[3] آثار الإمام مُحَمَّد البشير الإبراهيمي 1/ 84.

[4] المصدر نفسه، 1/ 138.

[5] المصدر نفسه، 1/ 216.

"...وحاش سنن الله في الدِّين والكون أن تتناقض هذا التناقض"[2]، "إنكم لا تغالبون الطبيعة البشرية إلا غلبتكم، ولا تشادّون سنن الله إلا قهرتكم..."[3].

– من عوامل النجاح التدرج في المراحل: "من عوامل نجاح أية حركة هو أن تُرتِّبَ مراحلها، وتضبط أطوارها، بحيث لا تسبق مرحلةٌ مرحلةً، ولا يجاوز طورٌ طورًا، ولا تُسْتَعْجَل نهاية فترة قبل أن تستوفِيَ أَمَدَها، ويحينَ أجلها، ولا تخترق سُنَن الله في النمو الطبيعي لأي كائن"[4].

– سُنَّة وجود أعداء لحملة الإصلاح: "ونحن لا نعتبر هذه الفِرقة عدوة لنا وإنما نعتبرها بقية من حملة الفكر القديم الخرافي، ... ونحن على يقين أن وجود هذه الفرقة طبيعي، ومن سنن الله التي لا تقاوم، وسيكتسحها الزمن وتقلباته لعدم صلاحية ما هي عليه لهذه التقلبات، فقصارى صنعنا مع هذه الطائفة أن نتربّص بها صنع الله"[5].

– سنة تمحيص المؤمنين وإعداد الرساليين، وفيها إشارة واضحة إلى سنة الابتلاء: قال على إثر اعتقال الشيخ الطيب العقبي بسبب تهمة ملفقة له: "لسنا نجهل هذا من سنن الله، فلم نشك لحظة منذ وضعنا قدمنا في طريق الإصلاح الديني ورفعنا الصوت بالدعوة إليه في أن الله سيديل للحق من الباطل، وأنه يبتلي أولياءه بالأذى والمحنة ليمحصهم ويكمل إعدادهم للعظائم... ولم نزل على يقين تتجدّد شواهده أن في المصائب التي تصيبنا في سبيل الإصلاح شحذًا لهممنا وإرهافًا لعزائمنا، وتثبيتًا لأقدامنا، وإلفاتًا للغافلين عنّا إلى موقعنا من الأمة وموقفنا من أعدائها "[6].

– من سنن الله في الأمم: "... والأمة التي لا تَصنع الحياة يُصنع لها الموت، والأمة التي لا تعمل لنفسها ما ينفعها ويسعدها، يعمل لها غيرها ما يضرها ويشقيها... والأمة التي لا تُكرِم شبابها بالعلم والتثقيف مضيعة لرأس مالها، والأمة التي لا تجعل الأخلاق ملاكها، أمة تتعجل هلاكها... سنة من سنن الله كسنته في تكوير الليل على النهار"[7].

– وتحدث عن الدروس والعبر من يومي بَدر وأُحُد، وحلل الآيات القرآنية والوقائع التاريخية، واستخلص سنن النصر والهزيمة، وأسقط ذلك على واقع الحال[8].

– وبيَّن أن سبب تخلف المسلمين عن مسارهم السابق أنهم فرطوا في سنن الله في الدين والكون[1].

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 241.

[2] المصدر نفسه، 2/ 406.

[3] المصدر نفسه، 3/ 296.

[4] المصدر نفسه، 4/ 9.

[5] المصدر نفسه، 1/271- 272.

[6] المصدر نفسه، 1/ 276.

[7] المصدر نفسه، 2/ 430.

[8] ينظر المصدر نفسه، 2/296 وما بعدها، و5/83 وما بعدها، و1/ 403.

2/1/2– قيمة إسهامات الاتجاه الاصلاحي في الوعي بالسنن :

– كانت المدرسة الإصلاحية على يد ابن باديس والإبراهيمي وبقية العلماء بشكل عام تستوعب السنن الربانية خلال عملها الإصلاحي، في ذاتها فهما ووعيا وثقافة، ثم تعْمَل على ترشيد الواقع بها حسب إلحاحات اللحظة التاريخية واستدعاءاتها، وذلك هو منهج الحركات الإصلاحية والتجديدية على العموم، فهمُّها الأول أن يمتثل الناس ويستجيبوا في حركتهم لما تستدعيه متطلبات الإصلاح التي منها فقه السنن الإلهية والعمل بها من أجل بعث النهضة من جديد.

– ولم يكن من همها المركزي الانشغال بالتأطير والتأصيل النظري، بل تمارسها أثناء عملها الإصلاحي، وتعمل على تجسيدها دون أن تؤكد عليها تنظيرا مجردا، وإنما تشير إلى بعضها تدريسا وتكوينا وتثقيفا، وهي تستوعبها وتهضمها وتمارسها من خلال عملها الاصلاحي أثناء تلبيتها لاحتياجات المجتمع، وخلال مواجهتها لإكراهات وتحديات الواقع.

– ما وصلنا من كتابات المشتغلين بالإصلاح يمثل نسبة قليلة مقارنة بعطائهم الشفهي عبر الخطب والدروس والمجالس الخاصة والعامة والتوجيهات اليومية العامة... ولذلك تعد القيم والمبادئ التي أطروا بها الوسط الثقافي الجزائري أكثر بكثير مما وصلنا من كتاباتهم، ومنه سيكون تأثيرهم التراكمي بالوعي السنني في الواقع أوسع وأعمق مما في آثارهم، وإنما آثارهم صورة مصغرة عن حقيقة جهودهم.

– كان للحركة الإصلاحية بالجزائر سلطان وكلمة مسموعة وقيادة روحية صنعتها لنفسها خلال فترة الاستعمار في ظل غيابِ دولةٍ لأهل الأرض، وكان من الطبيعي أن تكون الممثل الوحيد للجزائريين يومها فيسهل عليها تعميم مشروعها على جميع من تستطيع الوصول إليهم من أبناء الوطن، ومن خلال هذا المشروع كانت تمرر وعيها بالسنن إلى الواقع الفكري والعملي الإسلاميين ضمن برنامجها الإصلاحي.

– تمت الإشارة في عمل الحركة الإصلاحية إلى جملة من السنن بشكل مباشر هي: سنن الحياة، سنن الكون، سنن الأنفس، سنن العمران، سنن الاجتماع، سنن الدِّين، السنن الإلهية، كما تمت الإشارة إلى سنن الابتلاء وسنن الهداية والتأييد بشكل ضمني، ولكنها لم تشتغل على ضبطها في شكل منظومة كلية، وهذا التفصيل التنظيري هو ما سنجده عند الأستاذ الطيب برغوث مؤصَّل بشكل بارز ومضبوط.

2/2– الوعي السنني لدى اتجاه المشروع الحضاري:

كانت المدرسة الحضارية بالجزائر التي أسس لها مالك بن نبي (1393هـ/ 1973م) تتابع احتياجات الواقع واكراهاته في إطار كليٍّ واقعي، يحاول استخلاص سنن التاريخ والقرآن من أجل التأصيل للسنن الحضارية، رغبة في إتاحة فرصة جديدة للعالم الإسلامي للعودة إلى دورة حضارية جديدة، بعد أن خرج من الدورة الحضارية على إثر عصر الموحدين.

---

[1] المصدر نفسه، 4/ 63.

استطاع مالك بن نبي بما أتيح له من نباهة وبُعد نَظرٍ المزج في تفكيره ونضجه بين التجربتين؛ الإسلامية والغربية، كما استطاع من تأملهما استخلاص القوانين التاريخية التي تحكم سير التاريخ وسنن المجتمعات.

وهو لم يشتغل وفق الاتجاه الإصلاحي الذي يعتمد النزول إلى الميدان العملي اليومي بالتعليم والتهذيب والإرشاد، ولكنه ركز على ترشيد هذا العمل الميداني الجبار، وعلى ترشيد وعي النخبة المؤثرة في سياسة الدولة بعد الاستقلال، وعلى ترشيد النخب المؤثرة في الثقافة والتربية والتعليم والسياسة والاقتصاد... حيث ركز على تحليل وتركيب مشكلات (الأفكار، والثقافة، والحضارة) باعتبارها محور الأساس لإحداث التغيير.

ولذلك استطاع استخلاص معادلات مركزية، تعتبر من أهم قوانين الحضارة التي أثرت في وعي النخبة المهتمة بالتغيير الحضاري، لا سيما تلك الثلاثيات التي تلخص المعامِلات المتحكمة في البناء والتشييد من أمثال (الإنسان، والتراب، والوقت) ، (عالم الأفكار، وعالم الأشخاص، وعالم الأشياء)، (مرحلة الروح، ومرحلة العقل، ومرحلة الغريزة).

اتكأ بن نبي على آيات سننية محورية وتفرع بعد ذلك في استخلاص القوانين والعبر من تاريخ الأمم وتحليل نفسية المجتمعات، فهو القائل: "يجب التأمل في سنن التاريخ التي لا تغيير لها، كما أشار إليها القرآن الكريم ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾ [الرعد: 11]، وكما وضحها ذلك العبقري، عمدة المؤرخين (ابن خلدون)"[1]. فاستيعابه لفكر ونظريات ابن خلدون السننية واضح من خلال الإحالة المتكررة عليه[2].

بل استطاع أن ينقل أفكار ابن خلدون من مرحلة القصور وعدم الاكتمال إلى مرحلة القانون العام التام، دون أن يهمل فضله في اكتشاف منطق التاريخ، واعترف له أنه يمكن أن يكون أول من أتيح له صياغة قانون الدورة التاريخية لولا أن معطيات ومصطلحات عصره كانت قاصرة عن أن تمده بالصورة كاملة ليكشف خلاصة الدورة الحضارية، ومنتهى ما وصلت به إليه؛ تفسير الظاهرة في إطار منتج من منتجات الحضارة ألا وهي نظرية تطور الدولة[3]. كما ربط انكسار خط الحضارة الإسلامية الصاعد بعصر ابن خلدون الذي يطلق عليه مصطلح (عصر ما بعد الموحدين)[4].

---

[1] شروط النهضة، ص48.

[2] ينظر على سبيل المثال: (فكرة العصبية)؛ مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص51/ و (فكرة الأجيال الثلاثة في حياة الدولة)؛ وجهة العالم الإسلامي، ص28/ و(فكرة المغلوب مولوع بتقليد الغالب)؛ وجهة العالم الإسلامي، ص121/ و(فكرة الصناعة) شروط النهضة، ص82، 87 وتأملات، ص151/ (فكرة أثر العامل الاقتصادي في الواقع الاجتماعي)؛ تأملات، ص53.

[3] ينظر شروط النهضة، ص62.

[4] ينظر وجهة العالم الإسلامي، ص35- 37.

وقرر مبدأ السنن وطبيعتها وارتباطها بالحياة وبالأقدار، يقول بن نبي: "إن الأقدار لم تظلم أحداً، وإنما تقوم الأمور على سنن لا تغيير لها، تربط المسبّبات بأسبابها، سنّة الله في خلقه، ولغيرنا أن يسميها القوانين، فلا يضيرنا"[1].

والتغيير الإيجابي عنده لا يحدث بالحلول المستوردة من الشرق أو الغرب: "وعليه فإنه لا يجوز لأحد أن يضع الحلول والمناهج، مغفلاً مكان أمته ومركزها، بل يجب عليه أن تنسجم أفكاره، وعواطفه، وأقواله، وخطواته مع ما تقتضيه المرحلة التي فيها أمته، أما أن يستورد حلولا من الشرق أو الغرب، فإن في ذلك تضييعا للجهد، ومضاعفة للداء. إذ كل تقليد في هذا الميدان جهل وانتحار"[2].

1/2/2- خلاصة كليات سنن الحضارة والتغيير الاجتماعي عند بن نبي:

1- أن للتاريخ دورة خالدة، يعرف الإنسان موقعه من الحضارة بمعرفة موقعه من دورة التاريخ، وهو ما يسهل عليه معرفة عوامل السقوط والانحطاط في حياته، ومعرفة نقطة البداية وعوامل النهوض[3].

2- معادلة الدورة الحضارية: الحضارة = (الإنسان+ التراب + الوقت)[4].

3- وتعد (الفكرة الدينية) العامل الذي يمزج بين هذه العناصر الثلاثة ليكوّن منها حضارة[5].

4- ويتولد من المعادلة السابقة في المجتمع ثلاثة عوالم: عالم الأفكار وعالم الشخاص وعالم الأشياء.

5- وهذه الدورة تبدأ من مرحلة الروح ثم تليها مرحلة العقل ثم تختم بمرحلة الغريزة.

6- مراحل المجتمعات: مرحلة المجتمع قبل التحضر، مرحلة المجتمع المتحضر، مرحلة المجتمع بعد التحضر[6].

2/2/2-الخطوات التفصيلية لعمل سنن الحضارة والتغيير الاجتماعي:

- المبدأ الأساس في التحولات الحضارية هو مبدأ (سُنَّة التغيير النفسي): إذ يجعل مالك بن نبي الآية الكريمة ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: 11] محور تأسيساته للانطلاق في نهضة نحو بناء الحضارة، وهي مستند كتبه؛ فهو يستند إليها في كل مرة يباشر شرح مفاتيح التغيير في المجتمع[1].

---

[1] المسلم في عالم الاقتصاد، ص 49.

[2] شروط النهضة، ص47- 48.

[3] ينظر المصدر نفسه، ص 47.

[4] ينظر المصدر نفسه ، ص50 / وتأملات، ص171، 199.

[5] ينظر المصدر نفسه، ص58.

[6] ينظر مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص 37.

– ما من مجتمع يعيش حالة تخلف أو هو خارج الدورة الحضارية – مهما كان موقعه من التاريخ– يملك العناصر الثلاثة التي تتركب منها الحضارة: (الإنسان والتراب والوقت).

– ولكن الذي لا يدعه ينطلق في حالة نهضة ليؤسس حضارة له هو (عالمه الثقافي) الذي سادت فيه عادات وتقاليد وسلوكات وأذواق وأساليب حياة بالية سلبية، على رأسها (القابلية للاستعمار)[2]، فكل إنسان يحمل بين جنبيه محتوًى ثقافيا تلقاه من الوسط الاجتماعي الذي احتضنه طيلة نموه، يبقيه في حالة تخلف.

– ولكي يحدث التحول الإيجابي على مستوى (عالمه الثقافي) لا بد أن يتكئ على (عالم أفكاره الأصلية) ليدمجها من جديد بطريقة جديدة في الفرد والمجتمع، بشكل عملي، يظهر في أسلوب حياتهم اليومي في شكل سلوكات وتصرفات أخلاقية فاضلة ونزوع ذوقية وجمالية راقية، متداولة بشكل تلقائي عفوي.

– محور عالم الأفكار؛ (الفكرة الدينية)، فهي التي إذا مُكِّنت من القلوب والضمائر عن طريق (التغيير النفسي الذاتي)، أكسبت الفرد دوافع سامية جديدة. "فالفكرة الدينية التي تشرط سلوك الفرد... تخلق في قلوب المجتمع بحكم غائية معينة، وذلك بمنحها إياها الوعي بهدف معين، تصبح معه الحياة ذات دلالة ومعنى، وهي حينما تمكن لهذا الهدف من جيل إلى جيل ومن طبقة إلى أخرى، فإنها حينئذ تكون قد مكنت لبقاء المجتمع ودوامه وذلك بتثبتها وضمانها لاستمرار الحضارة"[3].

– يتحقق التغيير في المحيط الاجتماعي بتحققه أولا في الأنفس: "مصداقاً للآية الكريمة: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: 11]... وحينما نقول هذه الكلمة نقولها باعتبارها علماً، ولا نقولها فقط تبركاً بآية... لا يستطيع مسلم أو غير مسلم أن يغير ما حوله إن لم يغير أولاً ما بنفسه، فهذه حقيقة علمية يجب أن نتصورها قانوناً إنسانياً وضعه الله عز وجل في القرآن، سُنَّة من سنن الله التي تسير عليها حياة البشر"[4].

– الدِّين سُنَّة فطرية في الوجود[5]، و"الحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء، يكون للناس شرعة ومنهاجا، أو هي– على الأقل– تَقُوم أُسُسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي بالمعنى العام، فكأنما قُدِّر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية، أو بعيدا عن

---

[1] ينظر توظيفه لها مثلا: شروط النهضة، ص 25، 31، 49/ مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص: 156/ وجهة العالم الإسلامي، ص47، 53/ بين الرشاد والتيه، ص54، ميلاد مجتمع، ص77/ القضايا الكبرى، ص148/ تأملات، ص79/ دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ص59/ المسلم في عالم الاقتصاد، ص59، 83/ فكرة الإفريقية الآسيوية، ص254.

[2] ينظر فصل (معامل القابلية للاستعمار)، شروط النهضة، ص152 وما بعدها.

[3] المصدر نفسه، ص 72.

[4] دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ص59 / وينظر أيضا شروط النهضة، ص 48– 49.

[5] "ففي ضوء القرآن يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته، كما تحكم الجاذبية المادة، وتتحكم في تطورها. والدين على هذا يبدو وكأنه مطبوع في النظام الكوني، قانوناً خاصاً بالفكر". الظاهرة القرآنية، ص 300.

حقبته إذ حينما يكتشف حقيقة حياته الكاملة، يكتشف معها أسمى معاني الأشياء التي تهيمن عليها عبقريته، وتتفاعل معها"[1].

أ– مرحلة الروح: تعاطي الإنسان مع الدِّين ينتج الفكرة الدينية؛ وحيثما انطبعت في ذات الإنسان أصيلة بطريقة صحيحة طبعته بطابعها الخاص ووجَّهته نحو غايات سامية[2]، ومنحته الدافعية المناسبة لينطلق في التاريخ، ووضعته ضمن الدورة الحضارية، في مستوى "الروح"، يكتفي فيها الإنسان غالبا بحاجاته الضرورية، ويتصدق أو يشارك المحتاجين بما امتلكه من سعة وحقوق، بل يضحي ببعضها أحيانا من أجل المصلحة المشتركة للمجتمع، كما يكون لديه فائض في أداء الواجبات على حساب الحقوق.

– تعمل الفكرة الدِّينية على المزج بين المكونات الثلاثة للحضارة فتتأسس في المجتمع (شبكة علاقات اجتماعية) جديدة قوية ومتينة، تنقل (عالم الأشخاص) من الفردية والإنجذابات الغريزية وحصر الهمة في المكاسب الشخصية إلى التركيز على روح الجماعة وعلى الأهداف المشتركة للمجتمع وإلى بناء الحضارة، ويسعى إلى تلبية احتياجاته المعنوية والمادية في إطارها وبالانسجام معها[3].

"إننا لكي نتوصل إلى التركيب الضروري كحل للمشكلة الإسلامية؛ أعني مزج الإنسان والتراب والوقت، يجب أن يتوفر لدينا مؤثر الدِّين الذي يغير النفس الإسلامية... فإن قوة التركيب لعناصر الحضارة خالدة في جوهر الدِّين، وليست ميزة خاصة بوقت ظهوره في التاريخ... وتسجيله في النفس وهو ما يهم التاريخ"[4].

– تعد الأفكار المستنِدة إلى الفكرة الدينية بمثابة (الأفكار الأصلية) الرائدة التي تحتضن نشاط الإنسان والمجتمع وتغذي مخزونه الأخلاقي[5]، فهي التي تهذب غرائز الإنسان وتحوله من فرد أناني ذو نزعة بدائية إلى شخص جماعي جماعي ذو نزعة اجتماعية[6]، وهي التي تعطيه (الدوافع)[7] الضرورية واللازمة للانطلاق نحو تحقيق الغايات الكبرى الكبرى للمجتمع، وهي التي تدفع للبحث عن أفضل الأفكار لمواجهة مشكلات التخلف الواقعية في مجالات: التعليم والزراعة والصناعة والإعلام والاتصال والسكن والعمل والتكنولوجيا والمواصلات والسياسة والاقتصاد... تسمى هذه الأفكار بـ (الأفكار العملية)، وهي التي توجِّه نشاطه باعتبارها وسائله التقنية التي يواجه بها ظروفه التاريخية الخاصة[8]، يكتسبها من خلال الخبرة الذاتية أو الخبرة الإسلامية السابقة أو بالاستثمار في الخبرة الإنسانية

---

[1] شروط النهضة، ص51

[2] ينظر المصدر نفسه، ص50.

[3] ينظر مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص40.

[4] شروط النهضة، ص58.

[5] مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص57.

[6] ينظر ميلاد مجتمع، 31.

[7] الفكرة الدافعة: "وللفكرة الدافعة (لحظتها) كذلك، أنها اللحظة التي يكون إسقاطها على نشاطنا، هو بالضبط الصورة الكاملة لنموذجها في في عالمها الثقافي الأصلي. فقدرتها على الطاقة الحيوية تكون في أوجها في تلك اللحظة على الأخص". مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص60.

[8] ينظر مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص57.

الإنسانية بشكل عام، بعد أن يكيِّفها لتصبح ملائمة لأفكاره الأصلية المرجعية ولضميره الجمعي ولروحه الثقافية ولطبيعة مشكلاته ولنوع التحديات التي تواجهه.

– تتشكل أو تتجدد عوالمٌ الثلاثة تبعا لما سبق؛ (عالم الأفكار وعالم الأشخاص وعالم الأشياء)[1]، "والتاريخ، في أي مستوى من الحضارة يتمُّ إنجازه، إنما يمثل النشاط المشترك للأشياء، والأشخاص، والأفكار المتاحة في ذلك الحين بالذات، أي في نفس الأوان الذي يُواكِب عمليَّةَ إنجازه"[2].

– كلما كان عالم الأفكار (الأفكار الرائدة+ الأفكار العملية) هو الذي يقود النهضة ويصنع الحضارة ويهيمن على عالمي الأشخاص والأشياء[3] كانت الحضارة في مستوى (الروح)[4] حيث يكون هناك فائض من الواجبات المؤداة على حساب الحقوق، والذي يؤدي إلى فائض في المنتجات، والتي تعود عليه كضمانات مادية ومعنوية يكفلها المجتمع لذاته ولأجياله الناشئة، ويستعين بها على بناء ذاته ونقلها إلى مستويات متقدمة من العمران والمدنية.

ب– مرحلة العقل: فإذا شهد المجتمع نقصا في الفعالية الاجتماعية للفكرة الدينية، دخلت بذلك (مرحلة العقل) [5]، ورغم أنها تعبِّر عن أوج فترة الحضارة حيث تزدهر العلوم والفنون إلا أنها تحرر شيئا فشيئا (الغريزة) التي ألجمتها (الروح).

وهي مرحلة يغلب عليها سيطرة (عالم الأشخاص) على عالمي الروح والأشياء، بحيث يصبح هو المحور الذي يدوران في فلكه، أين يتم تقسيم العمل والتخصص فيه، وغالبا تتوازن فيه الحقوق مع الواجبات لدى الفرد، أي أن الفرد يؤدي واجباته ما دام يضمن حصوله على حقوقه ولو مؤجلة، ويتراخى أو ينقطع بقدر ما تُضَيَّع حقوقه أو تهدر، ويخسر المجتمع تبعا لذلك فائض الواجبات المحققة.

وسيطرة عالم الأشخاص يضع المجتمع في وضعية خطيرة حيث سائر أخطاء وانحرافات الشخص الذي تجسدت فيه الأفكار ينعكس ضررها على المجتمع، كما يتضخم فيه الأَنَا لدى الزعماء ويستحيلون على النقد والمراجعة، كما يمكن إقصاء الفكرة من ميدان العمل بتصفية الفرد[6].

ج– مرحلة الغريزة: أما إذا استولى (عالم الأشياء) على محور الدوران، وأصبحت الأفكار والأشخاص يدورون في فلك الأشياء[7]، فتلك هي سيطرة (مرحلة الغريزة)[1]، وهي التي تأتي على ما تبقى من ضمانات ومكتسبات

---

[1] ينظر ميلاد مجتمع، ص27 / ومشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص36.

[2] القضايا الكبرى، ص98

[3] مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص40، 58.

[4] ينظر شروط النهضة، ص67– 68.

[5] المصدر نفسه ، ص69.

[6] مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص81 وما بعدها.

[7] ينظر المصدر نفسه ، ص79.

حضارية، وينفصل الإنسان فيها عن البذل لغايات المجتمع الكبرى، ويكتفي بمصالحه الشخصية، كما يفقد المجتمع الأخلاق والعادات الإيجابية، حيث يخذل أفكاره الأصلية الدافعة وأفكاره العملية النافعة، ويكتسح نفسيته طابع (القابلية للاستعمار).

"وفي الحالة التي تنكمش فيها تأثيرات الروح والعقل، تنطلق الغرائز الدنيا من عِقالها، لكي تعود بالإنسان إلى مستوى الحياة البدائية"[2].

– يصل المجتمع لهذه الحالة عندما يبدأ بشكل تدريجي يفقد عبر الأجيال انعكاس مضمون أفكاره الأصلية وأفكاره العملية في محيط الاجتماعي المتداول (أي في الحاضنة الثقافية)، وهو بذلك يخذل أفكاره الدافعة وأفكاره الفاعلة، فيأذن بوقوع سُنَّة (انتقام الأفكار المخذولة)[3]، "ومن سنن الله في خلقه أنه عندما تغرب الفكرة يبزغ الصنم"[4]، فكلما تنكر المجتمع للأفكار الرائدة والعملية المندمجة في السلوك وخَذَلها أعطته نتائج عكسية تظهر في شكل (تدمير، انهيار، تخلف...)[5].

3– قيمة إسهامات مالك بن نبي السننية :

بعد استقلال الجزائر أصبح للبلد قيادة سياسية ومؤسساتُ دولةٍ للشؤون الدينية والتربوية والثقافية والإعلامية والاقتصادية والاجتماعية... ولم تعد الحركة الإصلاحية الممثل الوحيد للجزائريين، بل أصبح التمثيل الرسمي بيد القيادة السياسية حديثة الولادة، ورغم أن حركة المشروع الإصلاحي احتفظت بمكانتها الروحية إلا أنها فقدت سلطتها المباشرة لتنفيذ مشروعها الإصلاحي، واضطرت إلى الاندماج في مؤسسات الدولة أو عبر العمل التطوعي للتكيف مع الوضع الجديد.

وفي ظل هذا الوضع الجديد كان يفترض أن تكون لأفكار مالك بن نبي الدور المهم في ترشيد وعي النخبة القيادية في الدولة الحديثة، فهي جد متلائمة مع دولة نالت استقلالها حديثا وتسعى لتأسيس وبلورة مشروعها النهضوي، إذ هي أحوج ما تكون إلى الأفكار الكبرى المحورية التي تستند إليها لتبْنِيَ الفرد والمجتمع ومؤسسات الدولة، ولم يبخل مالك بن نبي بأفكاره وتوجيهاته للدولة الفتية بعد الاستقلال، فمن خلال الكتابات والمحاضرات والندوات التي قدمها[6] جدد عرض وشرح منظومته الفكرية عن دور الأفكار والثقافة وشروط النهضة ومتطلبات الحضارة بأسلوب يتناسب مع احتياجات دول ما بعد الاستقلال.

---

[1] ينظر شروط النهضة، ص69- 90.

[2] المصدر نفسه ، ص53.

[3] ينظر مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص153- 154.

[4] شروط النهضة، ص28.

[5] ينظر مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص158.

[6] من أهم كتاباته لترشيد مرحلة الاستقلال: القضايا الكبرى، ومشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ومن أجل التغيير، ودور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، والمسلم في عالم الاقتصاد.

وبيَّن دور الدِّين باعتباره المفعِّل الضروري للتوليف بين مركبات الحضارة، ونبه على فكرة القابلية للاستعمار التي أزال بها الغموض عن الأسباب الجوهرية لمشكلات التخلف التي تعانيها المجتمعات المتخلفة، وأرشد إلى فكرة (توجيه الثقافة وتوجيه العمل وتوجيه المال)[1] لما لها من دور في تغيير مضمون الحاضنة الاجتماعية لإحداث عملية التَّحَوُّل الاجتماعي، وفكرة الإيديولوجيا (المفهومية)[2] لمحوريتها في توحيد دور الفرد ودور الدولة لتحقيق مشروع المجتمع واحتياجاته، وشرح (شروط النهضة) وقوانينها حتى تتمكن القوى الإصلاحية العاملة في المجتمع من ضبط بوصلتها وفق السنن الفطرية للنهضة، وتحترم مراحل التحضير والتدرج في التغيير ابتغاء الانطلاق في رحلة حضارية جديدة.

كان مالك بن نبي يقوم بدور المفكر الذي يتعمق المشكلات لينضج حلولها، ورغم أن تأسيساته لسنن النهوض لم تتحول إلى مشروع دولة بسبب قصور الوعي السنني واضطرابه لدى الصفوة السياسية والنخبة المؤثرة، غير أنها وجدت آذانا صاغية لدى كثير من نخب العلمية والثقافية بالجزائر وبالعالم الإسلامي، والتي عملت هي بدورها على تعميم هذا الوعي وتكميله بالتتميم والتنظير والتوسيع، ومن أهم الأعلام الذين استأنفوا عملية استكمال تأطير الوعي بالسنن الأستاذان: جودت سعيد والطيب برغوث.

3/2- الوعي السنني لدى اتجاه السننية الشاملة:

أما الأستاذ جودت سعيد فشغلته قضية (مشكلة العنف في العالم الإسلامي) أكثر من غيرها في بداية انشغالاته وكتاباته، بسبب إلحاح إشكاليتها على عملية التغيير أنذاك، ولكنه استأنف جهودا أخرى تجلِّي سنن تغيير النفس والمجتمع، أهمها: (حتى يغيروا ما بأنفسهم)، (فقدان التوازن الاجتماعي)، (العمل قدرة وإرادة الإنسان)، (حين يكون كلاً وحين يكون عدلاً)، (اقرأ وربك الأكرم)، (رياح التغيير)... وأبحاث أخرى، ورغم التعميقات السننية التي باشرها وأرشد بها الساحة الإسلامية غير أنه لم يصل بها إلى صياغة النظرية الكلية المتكاملة مثلما فعل الأستاذ الطيب برغوث.

فالأستاذ الطيب برغوث استطاع أن يتدرج في تأملاته للأزمة الحضارية للأمة من الكتابات التي تعالج موضوعات سننية بطريقة تجزيئية حسب احتياجات الصحوة والدعوة كما في (سلسلة مفاتيح الدعوة: القدوة الإسلامية، الدعوة الإسلامية والمعادلة الاجتماعية، التغيير الإسلامي، معالم هادية...) إلى صياغة نظرية الإسلام الكلية في فلسفة التاريخ والحضارة، كما هي في (سلسلة آفاق في الوعي السنني: مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية، الفعالية الحضارية والثقافة السننية، التجديد الحضاري وقانون النموذج، حركة تجديد الأمة على خط الفعالية الاجتماعية، مدخل إلى أصول منظور السننية الشاملة...).

سماها نظرية التدافع والتجديد، اكتملت لديه فيها منظومات الاستخلاف والتسخير في شكل سنن مضبوطة في اتجاه السننية الشاملة التي تتحكم في صيرورة التاريخ والحضارة، وتحوَّل جهده إلى التأصيل النظري المجرد، ما

---

[1] ينظر شروط النهضة، ص77 وما بعدها.

[2] ينظر القضايا الكبرى، ص93 وما بعدها.

مكنه من تقديمها في سياق رؤية كلية وشمولية، استوعب من خلالها السنن التفصيلية في محاور كلية، ليصبح (منظور السننية الشاملة) بمثابة خارطة الطريق الكلية الشاملة التي وضعها الله تعالى بين يدي الإنسان، ليعرف حقيقة نفسه ووجوده ومصيره، وحقيقة علاقته بأخيه الإنسان وبالكون وبالحياة، وحقيقة وظيفته الاستخلافية في إطار دورته الوجودية، وفي إطار القوانين والسنن الكلية، حتى يعمِّر الأرض بأقصى ما يستطيعه من هداية ورحمة وعدل وخيرية.

وملخص منظور السننية الشاملة أنها تتكون من أربع منظومات كبرى هي:

1/3/2- منظومة سنن الوعي الكوني الغائي:

وأصول هذه المنظومة خمس كليات: كلية مقصد **التوحيد**، كلية مقصد **الخلافة**، كلية مقصد **العبودية**، كلية مقصد **العمران الحضاري**، كلية مقصد **تهيئة الحياة الأخروية للإنسان**[1].

وهي المنظومة الأم لبقية المنظومات ومركزها، حيث تتمحور حولها وظيفية بقية المنظومات الثلاثة الأخرى التي سنذكرها لاحقا. وهي التي تعطي وعي الإنسان بذاته وتبين حقيقته ووظيفته ومكانته في الوجود[2].

فمنظومة سنن الوعي الكوني الغائي تقوم على كلية توحيد الله سبحانه وتعالى، ثم كلية الخلافة كمركز وجودي للإنسان، ثم كلية العبودية لله سبحانه وتعالى، ثم تقوم على كلية العمران الحضاري في الأرض، ثم تقوم على كلية توظيف كل هذه كليات السابقة وما انتجته من أجل تحضير الحياة الأخروية للإنسان، باعتبار أن الحياة الآخرة مصب نهاية الدورة الوجودية للإنسان إما جنة أو نار.

2/3/2- منظومة سنن الوعي الاستخلافي:

تعطي للإنسان الوعي بحركة التاريخ ؛كيف تتحرك المجتمعات الانسانية قوة وضعفا؟ وكيف تتحرك الصيرورات الحضارية لحركة التاريخ الإنساني في مساراتها الصاعدة أو المتقهقرة، وهي تتكون من أربع كليات كبرى أساسية: كلية **سنة الابتلاء**، وكلية **سنة المدافعة**، وكلية **سنة المداولة**، وكلية **سنة التجديد**[3].

والدورة الإنجازية للإنسان (فردا أو جماعة أو مجتمعا أو أمة) تتحرك ضمن هذه المعتركات الأربعة، فبقدر ما يتمكن الإنسان من الوعي بسنن الابتلاء، يتهيأ فعله لينجح في مواجهة وإدارة التحديات والمشكلات التي يواجهها في الحياة، فإذا نجح، فنجاحه فيها هو الذي يُنتِج التجديد، ويُحرِّك المدافعة ويقوِّيها، فإذا قويت إلى المستوى المطلوب تحركت عجلة المداولة[4].

---

[1] ينظر الطيب برغوث: مدخل إلى منظور أصول السننية الشاملة، ص42.

[2] ينظر المصدر نفسه، ص55- 56.

[3] ينظر المصدر نفسه، ص42.

[4] ينظر المصدر نفسه، ص53- 54. / ومقدمة في الأزمة الحضارية والثقافة السننية، ص44، 45، 51.

3/3/2- منظومة سنن الوعي التسخيري: وتتكون من أربع منظومات كونية كبرى تتوزع فيها سنن التسخير، وهي: منظومة **سنن الآفاق**، ومنظومة **سنن الأنفس**، ومنظومة **سنن الهداية**، ومنظومة **سنن التأييد**[1].

وهي تعطي للإنسان الوعي بالتسخير الشامل لما وُضع بين يديه من إمكانات وقدرات تُعِينه على انجاز ما حددته له منظومة سنن الوعي الكوني الغائي، لكي يحقق التوحيد والخلافة والعبودية وينتج العمران ويحقق حياته الأخروية، عبر الاستجابة المناسبة لتحديات منظومة سنن الوعي الاستخلافي، كيف يواجه الابتلاءات الواقعية ليصنع التجديد الضروري الذي يحقق المدافعة الفعالة كي يصل إلى المداولة المطلوبة.

– منظومة سنن الآفاق: المقصود بها ما اشتمل عليه الكون المادي في الأرض والجو من إمكانات مسخرة للإنسان، وهي مجال بحث وكشف واستثمار، وتؤكد الخبرة التاريخية أن الغلبة والدولة باستمرار للأكثر تحكما في سنن الآفاق[2]، وهي تتجلى اليوم في العلوم التجريبية الكثيرة التي أنتجها الإنسان.

– منظومة سنن الأنفس: هو الذي يتجلى اليوم في العلوم الاجتماعية والإنسانية، مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التاريخ وعلم الإدارة وعلم الاتصال والتواصل وعلم السياسة...

وأصول سنن الأنفس مذكور في القرآن وأما تفاصيله فكثير، وهي متروكة لسير الإنسان في الأرض، ونظره في سنة الأولين من أجل التعرف على سر المجتمعات والحضارات في انسجامها وتنافرها، وقوتها وضعفها، وتألقها وأفولها[3].

والتحكم في سنن الأنفس وسنن الآفاق ينتج عنه امتلاك القوة الرهيبة، ولكن السؤال المطروح: كيف تُستثمر هذه الطاقة والقوة التي تعطيها سن الآفاق وسنن الأنفس استعمالا راشدا بطريقة لا تضرنا كأفراد ومجتمعات، لأنها وحدها تخلق التوحش المادي، ومن منتجاتها في العصر الحديث؛ الاستعمار، والحروب العالمية، والاتجاهات العبثية الحديثة.

– منظومة سنن الهداية: هو ما انبثق عن حركة الرسالات السماوية من مفاهيم عن الوعي بالدورة الوجودية للإنسان في منشئه وطبيعته ووظيفته ومصيره، وما يتعلق بكل ذلك من ثوابت وأصول في فقه التسخير والاستخلاف، مما لا طاقة للعقل البشري الاستقلال للوعي به[4].

ولا يمكن للجهد البشري الوضعي أن يكون في أفضل حالاته فقط بمجالي سنن الآفاق وسنن الأنفس، فهما يحتاجان إلى استثمار ما جاء به الوحي الإلهي من ارشادات وتوجيهات، كي يترشَّد الفعل الإنساني في اتجاه الحق والعدل والخير والرحمة والبركة والصلاح والإصلاح.

---

[1] ينظر مدخل إلى منظور أصول السننية الشاملة، ص42، 44، 47./ والفعالية الحضارية والثقافة السننية، ص155.

[2] الفعالية الحضارية والثقافة السننية، ص156.

[3] المصدر نفسه ، ص158.

[4] المصدر نفسه ، ص161.

– **منظومة سنن التأييد:** هي التي تجذب العون الإلهي للإنسان، أو ما يمنحه الله تعالى للإنسان من عون وتأييد مباشر وغير مباشر عندما يعجز عن مواجهة التحديات التي تفرزها في وجهه حركة منظومة الاستخلاف (الابتلاء والتدافع والتداول والتجديد)، بالمتاح والمقدور له من إمكانات سنن (الآفاق والأنفس والهداية)[1].

وهذه الثلاثة الأخيرة هي مفتاح كسب التأييد الرباني، وذلك عندما يبذل الإنسان أقصى ما يستطيعه في تحقيق من سنن (الآفاق والأنفس والهداية) مجتمعة ومنسجمة، عندها تنفتح أبواب العون والتأييد الرباني بأسباب ووسائل لم تكن ضمن الاستطاعة البشرية.

– **مستويات الفعالية الناتج عن الوعي والاستثمار في سنن التسخير:**

1- حجم التحكم في سنن الآفاق + التحكم الفطري في سنن الأنفس = الفعالية الخامية القاعدية[2].

2- حجم التحكم في سنن الآفاق + حجم التحكم في سنن الأنفس = الفعالية العادية[3].

وحجم التحكم في سنن الأنفس هنا (الفطري+ المكتسب) والمكتسب هو المحصل عليه من النظر في سنن الأولين واستخلاص قوانين التسخير الخاصة بالإنسان فردا ومجتمعا.

3- حجم التحكم في سنن الآفاق + حجم التحكم في سنن الأنفس + حجم التحكم في سنن الهداية = الفعالية النموذجية[4].

4- حجم التحكم في سنن الآفاق + حجم التحكم في سنن الأنفس + حجم التحكم في سنن الهداية × استثمار سنن التأييد = الفعالية النموذجية القصوى[5].

4/3/2- منظومة سنن الوعي الوقائي الشامل:

تتكون من مستويات ومراحل أساسية من الوقاية التي يجب أن تتوفر لكل حركة حتى تبلغ أهدافها المرجوة منها، وهي: **الوقاية المبكرة** التي تبدأ مع بواكير الفعل وعملية التخطيط له، **والوقاية المرافقة** التي تلازم عملية الإنجاز، **والوقاية الاستدراكية** التي تصحح ما يكتشف من النواقص التي لم يُلتفت إليها في المرحلتين السابقتين[6].

السابقتين[6].

---

[1] ينظر المصدر نفسه ، ص167.

[2] ينظر المصدر نفسه ، ص157.

[3] ينظر المصدر نفسه، ص160.

[4] ينظر المصدر نفسه ، ص167.

[5] ينظر المصدر نفسه ، ص171.

[6] مدخل إلى منظور أصول السننية الشاملة، ص43.

– **الوقايـة المبكـرة:** هـي الوقايـة الاستشـرافية الـتي تحقـق تجنـب الأخطـاء والـذنوب والاخـتلالات في مرحلـة تخطيط (الدورة الإنجازية) للفعل، وتهيئة شروط تنفيذه في الواقع[1].

– **الوقاية المرافقة:** وهي التي ترافق وتلازم الدورة الإنجازية للفعل بشكل مستمر، عبر الرقابة النقدية التقويمية العلمية المنهجية الدائمة، لا بد أن تتسم بالمبادرة السريعة إلى التنبيه على الأخطاء والانحرافات، والشروع الفوري في التصحيح والتعديل بمجرد أن تلوح بوادرها، حتى تمنع نموها واستفحالها إلى مرحلة التعقيد، وتغدو مستعصية على المعالجة، بل تتحول إلى مشكلات مزمنة منهكة[2].

– **الوقاية الاستدراكية:** وهي التي تستدرك الأخطاء والنقائص بعد تمام الدورة الإنجازية للفعل، والتي لم يتم كشفها من خلال عمليتي الوقاية المبكرة والوقاية المرافقة، فتبادر إلى تقييم العمل وتقويمه بلا تسويف[3].

والوعي ببناء المهارات الوقائية وتوظيفها هو الذي يحمي جهود البناء الحضاري، ويحافظ على مكتسباته المحققة من الهدر والتبديد الذاتي، أو الاستغلال الخارجي المضاد[4].

وفي كل مرحلة من مراحل الفعل الاستخلافي إذا ما تم إغفال أو الذهول عن بناء المهارات الوقائية واستثمارها يتوقف تحقيق (كلية سنة التجديد)، الذي بدوره يدل على توقف الاستجابة الأصيلة والمطردة والفاعلة تجاه التحديات التي تفرضها (كلية سنة الابتلاء)، "لأن التجديد يتم تبعا لطبيعة وحجم التغييرات الكمية والنوعية التكاملية المتراكمة التي يتمكن الفرد أو المجتمع أو الأمة من إحداثها على خطي التجاوز والإضافة"[5].

3- آفاق الوعي السنني للواقع المعاصر:

نظرية السننية الشاملة لا يمكنها أن تشتغل ميدانيا كما هي في الصياغة النظرية الحالية، حيث لابد أن ينتقل الكشف عن السنن من دائرة العلم إلى دائرة الوعي، فدائرة السلوك والممارسة والتخطيط، ولذلك فهي تحتاج إلى كثير من التبسيط والنمذجة من أجل إعادتها إلى الواقع، كما أنها منظومة فكرية تم التركيز فيها على الكليات وبعض التفاصيل، وما تزال تحتاج إلى إدراج كثير من تفاصيل السنن الصغرى تحت تلك الكليات الكبرى.

وهي في المستوى الذي هي فيه اليوم من جودة التنظير والتجريد صعبة التداول والتعميم، إنها تحتاج إلى التبسيط الضروري وكثير من الأمثلة والنماذج لتكون في مستوى الاستيعاب العام، حيث يمكن أن تندرج في الأدبيات والخطب والدروس التربوية والتحليلات الإعلامية والسياسية والاجتماعية...

---

[1] ينظر مفاصل في الوقاية الاستراتيجية للصحوة، ص72.

[2] ينظر المصدر نفسه، ص73.

[3] ينظر المصدر نفسه، ص74.

[4] مقدمة في الأزمة الحضارية والثقافة السننية، ص50.

[5] المصدر نفسه، ص50.

كما أنها تحتاج إلى الاتجاهين اللذين دفعا بها إلى ما هي عليه اليوم من اكتمال ونضج؛ اتجاه المشروع الحضاري الذي يستطيع أن يُكَيِّفها في مشروع نهضوي حسب معطيات الواقع (احتياجاته وتحدياته)، واتجاه المشروع الإصلاحي الذي يستطيع النزول بها إلى الميدان ليحولها إلى ثقافة مشاعة بشكل تلقائي ضمن الوسط الاجتماعي، عندها تستطيع أن تحرك إمكانات المجتمع المعنوية والمادية بفعالية وتكاملية تنتج الفعل الحضاري اللازم لكل مرحلة من مراحل سير المجتمع في التاريخ.

ما تزال قنوات تعميم الوعي بمنظور السننية الشاملة ضيقة وقاصرة، فهي في غالبها متوقفة على أعمال (أكاديمية الثقافة السننية للتجديد الحضاري) وبعض الجهود الفردية للأساتذة الحاملين لهذا الوعي، إنها تحتاج إلى التكوين النوعي لثلة من الرواد من مختلف جهات الوطن يعملون على بث هذا الوعي على مساحة أوسع لدى النخب والعامة حتى يتحول إلى ثقافة متداولة في الحاضنة الاجتماعية ومحمية ضمن الضمير الجمعي.

تحتاج السننية للنزول إلى الواقع من خلال وسطاء الخطاب الإسلامي الذين يمررونه لعامة الناس؛ فالمعلمون والأساتذة والمشايخ أئمه المساجد والإعلاميين والساهرين على وسائل الاعلام الاتصال كلهم وسطاء... إذا استطاعوا استيعاب الثقافة السننية، والارتقاء إلى تمثلها والعمل على تعميم الوعي بها، يمكن أن يكونوا فرصة لتداولها في الواقع الاجتماعي كي تُدْمَج داخل الحاضنة الاجتماعية ضمن الوعي الثقافي والسلوك الاجتماعي.

ومشروع السننية يحتاج إلى التحرير من الانغلاق على ذاته، أو فلنقل أن يكون محصورا في فئة قليلة، ولابد أن يتعاطى ويتفاعل بجملة الحاملين له وعيا وتمثلا وشرحا وارشادا مع جملة المؤسسات العاملة في الميدان، الحكومية وغير الحكومية، الرسمية والتطوعية، لأجل النزول به إلى الحاضنة الثقافية ليندرج ضمنها في جملة الأفكار المؤسِّسة والمؤطِّرة للوعي العام، والمرشِّدة للوعي الجمعي في المجتمع.

الخاتمة:

الاتجاه الاصلاحي في الجزائر قدم السنن في سياق الدعوة والارشاد في مستواها البسيط الذي يفهمه عامة الناس، فهي الأصلح لتأطير الحاضنة الثقافية أو الوسط الاجتماعي بالأفكار التي يحتاجها المجتمع، ولأنها تراعي أفهام جماهير المخاطبين فهي تقدمها في مستوًى بسيطٍ قابل للفهم والاستيعاب والتمثل.

ومن أفضال الحركة الاصلاحية إدراج فكرة السنن الإلهية ضمن الأفكار المتداولة في الوسط الثقافي الاسلامي وضمن التداول الحركي للصحوة الإسلامية، كما أنها استطاعت تأطير الوعي الجماهيري ولو في المستوى البسيط بأهمية العمل المنهجي الذي تتطلبه السنن الإلهية، للتحرك في عملية نهضة.

ونقّلها الأستاذ مالك بن نبي من التداول البسيط والسطحي أحيانا إلى المستوى العميق الذي يقف على الأسباب الحقيقية للتخلف والتبعية والغثائية، وعلى العوامل الجوهرية للنهوض من جديد، فهو لم يكتفي بالوقوف عند الأعراض والشكل والظاهر، وإنما تعمق إلى باطن الأزمة وجوهرها، وحاول تبعا لذلك ايجاد القوانين التاريخية الاجتماعية التي تحكم ظاهرة الحضارة باعتبارها ظاهرة اجتماعية لها قوانينها الثابتة.

أما عَمَل الأستاذ الطيب برغوث فهو أكثر تركيزا وتنظيرا، بحيث نحا نحو التنظير التجريدي الكلي الشمولي، الذي يحاول تقديم الظاهرة في إطار منظومة كلية شاملة، تفسِّرها وتلملم جزئياتها.

وهي منظومة مقدمة في إطار كلي شمولي يحتاج لمن يستوعبه ويأخذ منه ما يتناسب مع واقع الحال أثناء النزول إلى الواقع، فالواقع متغير نحتاج في مسايرته ومعالجته ومواجهة تحدياته إلى الأخذ من تلك المنظومات الكلية الكبرى وتكييفها حسب سياق التاريخي في تلك لحظه التاريخية التي يعيشها المجتمع.

بطريقة أخرى كيف نحوِّله إلى فكر ميداني متجذر في الوعي الجمعي، ويستصحب لتحلَّ به المشكلات الواقعية؟ أي كيف نكيِّفه للمرحلة التي هو فيها المجتمع لتتفاعل السنن مع الواقع في المستوى الفكري والمنهجي والثقافي لتثمر برامجا وخططا عملية مؤَطَّرة بالوعي السنني الفطري، حتى تنسجم حركة الإنسان فردا ومجتمعا مع متطلبات المرحلة تاريخيا، ولتنسجم مع حركة التاريخ في التجديد والمدافعة.

– المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم. (The Holy Quran)

– جمال الدين الأفغاني ومُحَمَّد عبده: العروة الوثقى ، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، القاهرة 1423هـ/2002م.

- Jamal al-Din al-Afghani and Muhammad Abduh: The Firmest Bond

– الطيب برغوث: مدخل إلى منظور أصول السننية الشاملة، أكادمية الثقافة السننية للتغيير الحضاري، الطبعة الأولى 1442هـ/ 2021م.

-Tayeb Barghouth : An introduction to the comprehensive Sunanya origins perspective

– الطيب برغوث: مقدمة في الأزمة الحضارية والثقافة السننية، دار قرطبة، الطبعة الأولى، الجزائر 1425هـ/2004م.

- Tayeb Barghouth :Introduction to the civilizational crisis and Sunanya culture

– الطيب برغوث: الفعالية الحضارية والثقافة السننية، دار قرطبة، الطبعة الأولى، الجزائر 1425هـ/2004م.

-Tayeb Barghouth : Civilizational effectiveness and Sunanya culture

– الطيب برغوث: التجديد الحضاري وقانون النموذج، دار رؤى، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان 1435هـ-2014.

-Tayeb Barghouth :Cultural renewal and the model law

– الطيب برغوث: مفاصل في الوقاية الاستراتيجية للصحوة، دار رؤى، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان 1435هـ-2014.

-Tayeb Barghouth :Hints in the strategic prevention of awakening

- الطيب الوزاني: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم من خلال مفهوم السنن الإلهية في التاريخ والاجتماع البشريين، المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، (جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه)، سنة النشر1432هـ / 2011م.

-Tayeb Ouazzani :The nation's efforts in serving the Holy Qur'an through the concept of divine laws in human history and society)

- عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، تح: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الطبعة الأولى 1388هـ / 1968م.

- Abdelhamid Ibn Badis: Antiquities of Ibn Badis

- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، اعتناء ودراسة: أحمد الزعبي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان.

- Abdul Rahman ben Khaldun : The Introduction of Ibn Kholdoon

- مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة: عمر مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق- سورية، الطبعة الرابعة 1425هـ- 2004م.

- Malek Bennabi: Conditions for the Renaissance

- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر ، الجزائر / دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثالثة، 1406هـ- 1986م.

- Malek Bennabi: The birth of a society

- مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر معاصر بيروت- لبنان/ دار الفكر دمشق- سورية 1431هـ/ 2002م.

- Malek Bennabi: The destination of the Islamic world

- مالك بن نبي: تأملات، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، سورية 1979م.

- Malek Bennabi: Reflections

- مالك بن نبي: دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دار الفكر، دمشق، سورية/ دار الفكر، الجزائر، الطبعة الأولى 1412هـ - 1991م.

- Malek Bennabi: The role of the Muslim and his message in the last third of the twentieth century

- مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر المعاصر- بيروت، لبنان/ دار الفكر-دمشق، سورية 1423هـ / 2002م.

- Malek Bennabi: The problem of ideas in the Islamic world

- مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، دمشق سورية 1420هـ / 2000م.

- Malek Bennabi: The Muslim in the world of economics

- مالك بن نبي: القضايا الكبرى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان/ دار الفكر دمشق، سورية 1420هـ 2000م.

- Malek Bennabi: The major issues

- مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، سورية1978م.

- Malek Bennabi: Between Rashad and Lost

- مالك بن نبي: فكرة الإفريقية الآسيوية، دار الفكر، الطبعة الثالثة، دمشق، سورية1422هـ/ 2001 م.

- Malek Bennabi: The African-Asian Idea

- مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق- سورية، الطبعة الرابعة 1420 هـ/ 2000م.

- Malek Bennabi: The Qur'anic phenomenon

- مُحَمَّد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام مُحَمَّد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1997.

- Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi: The works of Imam Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi

- مُحَمَّد عبده ومُحَمَّد رشيد رضا: تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990 م.

- Muhammad Abdo and Muhammad Rashid Reda: Interpretation of Al-Manar